75-960931

الفارابي عدد خاص

المورد

مجلة تراثية فصلية . تصدرها وزارة الاعلام - الجمهورية العراقية - المجلد الرابع - العدد الثالث ١٣٩٥ - ١٩٧٥

المعلم الثاني

تمثيلية تستقريء حياة الفارابي وفكره وفلسفته

بقلم

جميل الجبوري

الزمان :

٢٥٩ ـ ٣٣٩هـ

٨٧٠ ـ ٩٥٠م

المكان :

العراق ، قديما وحديثا

وحلب ايام سيف الدولة الحمداني

الشخوص :

١ ـ الصوت الراوية

٢ ـ ليلى

٣ ـ الاب

٤ ـ نزار

٥ ـ الاستاذ الجامعي

ـ ١ ـ

يسمع صوت يقول :

« الفارابي اكبر فلاسفة المسلمين على الاطلاق » فقد انشأ مذهبا فلسفيا كاملا وقام في العالم العربي بالدور الذي قام به افلوطين في العالم الغربي . وهو الذي اخذ عنه ابن سينا وعده استاذا له ، كما اخذ عنه ابن رشد وغيره من فلاسفة العرب ، ولقد لقب بحق « المعلم الثاني » على اعتبار ان ارسطو هو « المعلم الاول » .

« الأب وابنته ليلى »

ليلى : المعلم الثاني ؟

الاب : بلى يا ابنتي ، الفارابي . اما الاول فهو ارسطو

ليلى : بقدر ما يتعلق الامر بالاول ، ارسطو ، فأمره معروف لدي

الاب : ولكنك تجهلين الثاني ، الفارابي ، اليس كذلك

ليلى : ـ ضاحكة لا...لا... اردت ان اقول..

الاب : اعرف ماذا تريدين قوله ... تلك هي مشكلتنا نحن ابناء هذه الامة... نجهل اعلامنا وعظماء مفكرينا ونعرف الشيء الكثير عن غيرهم

ليلى : ولكن معرفة الغير يا ابتي ...

الاب : ـ مقاطعا ـ واعرف ايضا ماذا تريدين قوله ... لا اعتراض لدي ياليلى ان انت او اي منا الم بمعارف الدنيا جميعا ... لا بالعكس ... فذلك من دواعي السرور ، ولكن يا ابنتي ، الا ترين من الواجب ان نلتفت حوالينا ... ونعرف من نحن ، ومن هم أفلاذ مفكرينا وفلاسفتنا

ليلى : كيف لا يا ابتي

الاب : اتفقنا اذا

الصوت :

ويروي تاريخه ، انه « لما ورد على سيف الدولة وكان مجلسه مجمع الفضلاء في جميع المعارف فادخل عليه فقال له سيف الدولة : اقعد . فقال :

حيث أنا أم حيث أنت ؟ قال : حيث أنت .

فتخطى الفارابي رقاب الناس حيث انتهى الى مسند سيف الدولة وزاحمه فيه حتى أخرجه عنه . »

ليلى : ـ هامسة ـ ماذا يقصد ؟

الاب : ـ كذلك ـ مادام الامير قد قال له « حيث أنت » والرجل يعرف مكانته حق المعرفة

ليلى : ولكن الامير لا يقصد ذلك

الاب : بكل تأكيد ، الا ان الفيلسوف يعنيها

ليلى : رجل واثق من نفسه

الاب : كيف لا ياليلى ... فهو أحد أفذاذ عصره

الصوت :

« مواصلا »

« وكان على رأس سيف الدولة مماليك وله معهم لسان خاص يسارهم به ، قلّ ان يعرفه أحد . فقال لهم بذلك اللسان: ان هذا الشيخ أساء الادب ، واني سائله عن أشياء ، ان لم يعرف بها فاخرقوا به فقال له أبو نصر بذلك اللسان »

ليلى : ـ هامسة ـ ابو نصر ؟

الاب : ـ كذلك ـ نعم كنية الفارابي

الصوت :

« أيها الامير ، اصبر فان الامور بعواقبها . فعجب سيف الدولة منه ، وقال له : أتحسن هذا اللسان ؟ فقال نعم ، احسن اكثر من سبعين لسانا »

ليلى : ـ لنفسها ـ يحسن سبعين لسانا !!

الاب : ـ معقبا ـ قال اكثر من سبعين

ليلى : يالله ... ما هذه الامكانات النادرة

الاب : هي المواهب الفذة يا ابنتي

الصوت :

« فعظم عنده ، ثم أخذ يتكلم مع العلماء الحاضرين في المجلس في كل فن . فلم يزل كلامه يعلو وكلامهم يسفل حتى صمت الكل وبقي يتكلم وحده . ثم أخذوا يكتبون ما يقوله . فصرفهم سيف الدولة وخلا به . فقال له : هل لك في أن تأكل ؟ فقال : لا . فقال : فهل تشرب ؟ فقال : لا . فقال : فهل تسمع ؟ فقال : نعم .

فأمر سيف الدولة باحضار القيان . فحضر كل ماهر في هذه الصناعة بأنواع الملاهي . فلم يحرك أحد منهم آلته الا وعابه أبو نصر ، وقال له : اخطأت . فقال له سيف الدولة : وهل تحسن في هذه الصنعة شيئا ؟ فقال : نعم . ثم أخرج من وسطه خريطة ، ففتحها وأخرج منها عيدانا وركبها ، ثم لعب بها ، فضحك منها كل من كان في المجلس . ثم فكها وركبها تركيبا آخر . ثم ضرب بها ، فبكى كل من كان في المجلس ، ثم فكها وغير تركيبها ، وضرب بها ضربا آخر ، فنام كل من كان في المجلس حتى البواب . فتركهم نياما وخرج » .

ليلى : ـ تنفجر ضاحكة

الاب : ـ يشاركها ـ ويعقب ـ نعم يا ابنتي فالرجل مجموعة مواهب ويحكى ان الآلة المسماة اليوم بـ (القانون) من وضعه . وهو أول من ركبها هذا التركيب

ليلى : هكذا ؟

الاب : هذه بعض جوانب حياته المتفردة

● ● ●

ـ ٢ ـ

ليلى : ولكنني يا ابتي ...

الاب : ولكنك ماذا ؟ ... لازلت تجهلين الفارابي ، أليس كذلك ؟

ليلى : ـ ضاحكة ـ هو كذلك طبعا ، لان ما عرفته عنه الان لا يشبع تطلعي الى معرفته وان كان قد زاد لهفتي اليها

الاب : الحق معك ياليلى ... اسمعي يابنتي

ليلى : نعم يا ابتي

الاب : تاريخه يسجل ان اسمه هو « ابو النصر محمد بن محمد بن طرخان بن اوزلغ من مدينة فاراب »

ليلى : واين تقع فاراب هذه

الاب : هي مدينة في ما وراء النهر

ليلى : نعم يا ابتي ... وبعد

الاب : ويضيف ـ اعني تاريخه ـ انه « دخل العراق واستوطن بغداد وقرأ بها من العلم الحكمي على يوحنا بن جيلان المتوفي في مدينة السلام في ايام المقتدر ، والمعروف ان المقتدر رقي الخلافة سنة ٢٩٥هـ ـ ٩٠٧م واستفاد منه وبرز على اقرانه »

ليلى : كيف لا يبرز وهو على ما هو عليه من الفطنة والذكاء

الاب : بالفعل . فقد « اشتهرت تصانيفه وكثر تلاميذه . وصار علّم زمانه . شرح الكتب المنطقية ، واظهر غامضها وكشف سرها وقرب متناولها ، وجمع ما يحتاج اليه منها في كتب صحيحة العبارة لطيفة الاشارة »

ليلى : بديع ... بديع جدا

الاب : وهنا اود ان اقف معك وقفة ياليلى ارجو ان تنتبهي اليها مليا

ليلى : كلي آذان صاغية يا ابتي

الاب : المعروف عن الفارابي انه « نبّه على ما اغفله الكندي وغيره من صناعة التحليل وانحاء التعليم . واوضح القول فيها عن طرق المنطق الخمسة ، وافاد الانتفاع بها ، وعرف طرق استعمالها ، وكيف تصرف صورة القياس في كل مادة منها . فجاءت كتبه في ذلك الغاية الكافية والنهاية الفاضلة » .

ليلى : كلما توغلت في الحديث عن الرجل يا ابتي تكشفت لي عوالم رحبة من ثقافاته المتميزة وقابلياته الفذة . اقول يا ابتي ...

الاب : نعم

ليلى : وماذا عن مؤلفاته اذا ؟

الاب : سؤال لابد منه في هذا المقام

ليلى : اليس كذلك ـ تضحك ـ

الاب : ـ يضحك كذلك ـ كيف لا ... اسمعيني اخبرك

ليلى : نعم

الاب : مؤلفاته كما ذكرها « القفطي » هي : كتاب الجمع بين رأيي الحكيمين افلاطون الالهي وارسطوطاليس . وكتاب تحصيل السعادة . وكتاب آراء اهل المدينة الفاضلة . وكتاب السياسات المدنية . وكتاب الموسيقى الكبير . واحصاء العلوم . ورسائل في العقل . ورسالة فيما ينبغي ان يقدم قبل تعلم الفلسفة . وعيون المسائل . وما يصح وما لا يصح من احكام النجوم : ...الخ ...الخ ...

ليلى : نتاج غزير

الاب : بدون شك . والحقيقة ان الفارابي اشتهر كشارح لارسطو . وقد ذكر ابن سينا انه طالع كتاب « ما بعد الطبيعة » لارسطو اكثر من اربعين مرة ولم يفهمه حتى وقع اخيرا على كتاب للفارابي في « اغراض ما بعد الطبيعة » فلما قراه فتح له ما كان مغلقا منه ، واتضح ما كان مغمضا .

ليلى : شهادة لها اهميتها مادام الشاهد هو ابن سينا ، الشيخ الرئيس الذي لم يقتصر في تاليفه على علم من العلوم ولا فن من الفنون

الاب : ارايت اذا ؟ ولو علمت ما قاله ابن خلكان في كتابه الذائع الصيت « وفيات الاعيان » لزاد عجبك بطبيعة الحال وتضاعف اعجابك

ليلى : ماذا يقول صاحب الوفيات يا ابتي ؟

الاب : انه يقول : هو اكبر فلاسفة المسلمين ، ولم يكن فيهم من يبلغ رتبته في فنونه. والرئيس ابو علي بن سينا بكتبه تخرج ، وبكلامه انتفع في تصانيفه

ليلى : شهادة مرموقة اخرى

الاب : ومع ذلك فالرجل يتواضع تواضع العلماء فيكتب على كتاب « النفس » لارسطو طاليس بخطه : « اني قرأت هذا الكتاب مائة مرة » . ونقل عنه انه قال « قرأت السماع الطبيعي لارسطوطاليس الحكيم اربعين مرة وارى اني محتاج الى معاودة قراءته ». ويروى عنه كذلك انه سئل « مَن اعلم الناس بهذا الشأن ، انت ام ارسطو طاليس ؟ » . فقال « لو ادركته لكنت اكبر تلامذته » !

ليلى : يا لسماحة الرجل وتواضعه

الاب : هكذا العالم الحق يا ابنتي ، والا فلا . ولذلك كان منفردا بنفسه ، منصرفا الى علمه وفلسفته . وكان ازهد الناس في الدنيا ، لا يحفل بأمر مكسب ولا مسكن . وقد توفي في سنة تسع وثلاثين وثلثمائة بدمشق . وصلى عليه سيف الدولة في اربعة من خواصه ، وقد ناهز ثمانين سنة ، ودفن بظاهر دمشق خارج الباب الصغير ... عليه رحمة الله .

ليلى : ليرحمه الله .

● ● ●

- ٣ -

« ليلى ـ زميلها نزار ـ الاستاذ الجامعي »

ليلى : « وكأنها تتم حديثا سابقا » ... وهكذا حدثني يانزار أبي عن الفارابي وامتعني غاية الامتاع

نزار : الحق معك ، فالموضوع شيق ، ولكنني ياليلى قد تسنت لي متابعة بعض جوانب هذا الموضوع واستنتجت من هذه المتابعة حقائق اخرى

ليلى : حقائق اخرى ؟ ... ماذا تعني ؟ !

نزار : الذي اعرفه ان الفيلسوف الفارابي استقى أفكاره الفلسفية من مصادر يونانية

ليلى : لا ضير في استقاء العلم والاضافة عليه بطبيعة الحال ... ليس في هذا ما ينقصه فيما أقدر

نزار : الحق معك ، فليس في هذا الموضوع جدال ... ولكن ...

ليلى : ولكن ماذا ؟

نزار : قرات ، ان المعلم الثاني ، الفارابي ، ردد فيما جاء به ما قاله المعلم الاول ، ارسطو ، في كتابه «اثولوجيا ارسطو»

ليلى : هكذا ؟

نزار : هكذا قرات . واود ان تعرفي ياليلى ان لارسطو « مكانة خاصة لدى مفكري الاسلام الذين اعتبروه ، بحق ، المعلم الاول للبشرية ، اعني افضل من يمثل مقدرة العقل على الوصول الى الحقيقة فمن يتبع نظام ارسطو في التفكير يسير في الطريق القويم .

ليلى : وماذا عن كتاب « اثولوجيا ارسطو » هذا ؟

نزار : انه يتحدث عن « فيض العالم عن كائن اول (الواحد) ويجعل سلسلة من الوسطاء بين هذا الكائن الاول والانسان

ليلى : لم استطع ان افهم ما تريد قوله ... هل لك يا نزار في ايضاح أكثر ...

نزار : اسمعي ياليلى

الاستاذ : ـ وهو قادم ـ ماذا تسمع ـ يضحك ـ هل هي معاهدة بينكما على المناقشة ابدا

نزار : جئت في وقتك يا استاذ .. انقذني ..

الاستاذ : انقذك من ماذا ؟ ... من ليلى مثلا ؟ !

نزار : معاذ الله يا استاذ . بل من الحرج الذي اوقعتني فيه ليلى

ـ يضحكون ـ

الاستاذ : ما جلية الامر ياليلى

ليلى : موضوعنا يا استاذ الفيلسوف الفارابي

الاستاذ : احسنتما الاختيار

ليلى : ونزار يرى انه عاش عيال على ارسطو

الاستاذ : مَن قال هذا ؟

ليلى : ليجبك هو

نزار : انا لم اقل هذا ابدا

ليلى : ولا بهذا المعنى ؟

نزار : قلت لك انني قرات انه استقى ما جاء به من كتاب « اثولوجيا ارسطو »

الاستاذ : فهمت . فهمت . الان فهمت ...

ليلى : كيف يا استاذ

الاستاذ : احسب ان الموضوع يحتاج الى شروح وايضاحات ... تفضلا ... تفضلا

ليلى : الى اين ؟

الاستاذ : الى غرفة الاساتذة فلدي الوقت الذي استطيع ان اوضح لكم فيه جلية الامر اذا كنتما على استعداد للسماع

نزار : كيف لا

ليلى : بكل سرور

الاستاذ : اذا هيا

ليلى : وكلي امل في ان يكون الايضـــاح الذي سنسمعه مفندا لما جاءني به نزار

نزار : ليلى ! وبعد ؟

الاستاذ : ــ ضاحكا ــ هكذا انتما ابدا ... تفضلا بالجلوس ... تفضلا ...

ليلى : ان رائدنا المعرفة ليس الا

الاستاذ : هذا ما لا شك فيه

نزار : تفضل يا استاذ ...

الاستاذ : اود اولا ان ابين لكما « ان حركةالترجمة التي نشطت في القرن الثالث الهجري ، لاسيما في عهد الخليفة المأمون ، جعلت المفكرين المسلمين يلمون بمختلف اوجه الفكر اليوناني . وأعجب هؤلاء المفكرين خصوصا بمنطق ارسطو القوي وبالعلوم والمعارف التي توصلت اليها اليونان . ومن هنا ادرك المفكر الاسلامي انـه في استطاعة العقل البشري ادراك الحقيقة ولما كان العقل مرشدا وهاديا للحـق فلابد ان يكون من مصدر إلهي . ومن اقر للعقل بحق الهداية والارشاد فقد عظمه ورفع من شانه . فاذا انبأ الوحي عن الحقيقة فانه لا يعارض العقـــل معارضة جوهرية . وهذا مبدأ عـــام يقول به فلاسفة الاسلام »

نزار : هذا واضح

ليلى : نعم يا استاذ

الاستاذ : « ومن بين المؤلفات اليونانية العديـدة التي نقلت الى العربيـــة كتاب بعنوان « اثولوجيا ارسطو » وهذا له اهميـة خاصة

ليلى : موضوع نقاشنا ، انا ونزار

الاستاذ : نعم . فلقد فتح هذا الكتاب آفاقـــا جديدة للفكر الاسلامي .. هذا الكتاب ينسب خطأ الى ارسطو

نزار : كيف يا استاذ . انه كتابه

الاستاذ : لا يانزار . انه « مجموعـــة لبعـض تساعيات افلوطين ، المدافع الاكبر عن الفلسفة الفيضية »

ليلى : سبق لنزار وان اخبرني ان الكتـــاب يتحدث عن فيض العالم عن كائن اول ... ولقد ذكرت الان « الفلســـفة الفيضية » . فهل لي يا استاذ ان الم بكنه هذه الفلسفة

الاستاذ : نعم . فهي فلسفة « حاولت أن تحـل المسائل الكونية والاخلاقية والاجتماعية والسياسية والروحانية » ولكنني أود أن لا تستعجلي الامر . فعبر مـــا سنتناوله عن الفارابي تتضح لك ــ ولا شك ــ مسارات هذه الفلسفة وتتحدد مجالاتها .

نزار : الذي يهمني يا استاذ هو مدى تبنـــي الفيلسوف الفارابي لهذه الفلسفة

الاستاذ : الواقع ان الفارابي وجد « في النظـام الفيضي حلا لجميع المســـائل التي يثيرها الوحي ، ويتأمل فيها المفكر ، واهمها مسألة : مصدر العالم ، وطبيعة الله ، ومصـدر النفس البشـــرية ومصيرها ، والنبوة ، والاسس التي يجب أن تشيد عليها المدينة الفاضلة »

نزار : توصلات ذات قيمة واهمية

ليلى : اهمية بالغة بدون شك

الاستاذ : فعلا . والحقيقة التي يجب ان لا نغفلها ان الفارابي عندما لجأ الى كتـــاب « اثولوجيا ارسطو ، قام بمحاولـــة التوفيق بين افلاطون وارسطو ، واثبت ان الفلسفة اليونانية تتميز بوحدتهـا المتماسكة الاجزاء ، المنسقة المبادىء ، لا فجوة فيها ولا تناقض . ولـكن ، فات الفارابي وهو يقوم بمحاولته هذه انه كان في الواقـع يوفـــق بين آراء افلاطون وافلوطين .

نزار : تلك اذا محاولته .

الاستاذ : تلك هي محاولته الاولى

ليلى : وهل لها تاليـــة

الاستاذ : طبعا . فمحاولته الثانية هي التـــي عرضها في كتابه « آراء اهل المدينـــة الفاضلة » فقد جمع فيه اهم المسائل الفلسفية والسياسية والاجتماعيـــة والاخلاقيـــة .

نزار : معذرة يا استاذ . ولكن الا تتفق معي في ان هذه الموضوعات كانت مادة اكثر من فيلسوف وباحث .

الاستاذ : هذا صحيح . ولكن مَن تعني انت ؟

نزار : ابن سينا مثلا .

ليلى : هو سابق وابن سينا تلاه ... اليس كذلك ؟

الاستاذ : نعم . هو كذلك فعلا

ليلى : والذي علمته ان الشيخ الرئيس اشار الى استفادته من شروح الفارابي لبعض كتب ارسطو

الاستاذ : هذا جد صحيح ... والكتاب الذي يشير اليه ابن سينا هو بالذات كتاب « ما بعد الطبيعة » وشروح الفارابي له وردت في كتابه « أغراض ما بعد الطبيعة »

ليلى : نعم . نعم . فلقد تذكرت الان التفاصيل . هذا ما سبق ان ذكره لي ابي يا نزار كما اخبرتك قبلا

نزار : نعم . نعم ...

الاستاذ : واود ان اضيف ان ابن سينا ، الذي تتلمذ على الفارابي عن طريق مؤلفاته ، قام بعرض اوفى واوسع لما سبق وتناوله الفارابي في القضايا الفلسفية والاجتماعية والاخلاقية في مؤلفه الضخم المعروف « الشفاء » الذي اخصه فيما بعد في كتاب « النجاة » .

ليلى : ترى ، يا استاذ ، ما هي فلسفة الفارابي بشكلها المحدد اذا ؟

الاستاذ : سؤال وجيه . اسمعي ياليلى ... اود ان تعلمي ان الفارابي « يشيد فلسفته على بديهية عقلية مؤداها اننا نستنتج حتما من وجود الكائنات الحادثة ، الممكنة ، وجود كائن واجب الوجود ، موجود بذاته ، وجوده علة وجود باقي الكائنات ، اذ يستحيل التسلسل في مجموعة الكائنات الحادثة ، والا لما وجد شيء . »

ليلى : وماذا يعني بهذا ؟ ... معذرة ... فلم استطع أن اتابعك يا استاذ

نزار : ولا انا ايضا .

الاستاذ : المقصود ، انه « اذا كان كل كائن ممكن صادرا عن كائن آخر ممكن الوجود ، وهكذا الى ما لا نهاية ، تكون الكائنات كلها ممكنة . وبمعنى آخر لا يوجد اي كائن . فاذن لابد من وجود كائن واجب الوجود ، أعني غير محتاج الى غيره في وجوده ، ويكون وجود الكائنات الممكنة تابعا له » . أرجو أن لا يغمض عليكما هذا الايضاح أيضا

نزار : لا . لا ... ابدا . فهذا واضح فعلا

ليلى : نعم .

الاستاذ : وهكذا تخطو هذه الفلسفة خطواتها . « فاذا سلمنا منطقيا بوجود هذا الكائن الواجب الوجود ، الواحد ، البسيط ، المطلق الكمال ، وهو الله ، بقي علينا ان نعلل وجود باقي الكائنات » وهنا لابد لنا من عودة الى فلسفة افلوطين في كتابه المنسوب خطأ الى ارسطو كما اخبرتكما وهو الكتاب الذي لجأ اليه الفارابي

نزار : وهل يقدم افلوطين حلا منطقيا لهذه المسألة العويصة ، اعني مسألة وجود العالم ؟

الاستاذ : خلاصة مايراه الرجل « ان القول بخلق العالم من عدم قول يجد العقل صعوبة في قبوله : كيف يكون الشيء من لاشيء » وبقدر ما يتعلق الامر بالفكر اليوناني فانه « لا يسلم بالوجود من اللاوجود، ولا يقر الا بالوجود من موجود ، الامر الذي جعل فلاسفة اليونان يقولون بقدم العالم ، او بقدم مادة العالم ، وبحدوث نظامه فقط . واصبح المبدأ القائل بأن الكائن يفيض من كائن آخر مبدأ مقبولا ومنطقيا »

نزار : هكذا اذا .

الاستاذ : نعم . ولكن هناك نقطة لابد من الوقوف عندها

ليلى : ما هي يا استاذ

الاستاذ : ان هذه الفلسفة ، أعني فلسفة الفيض، تصطدم بصعوبة كبرى وهي : « كيف من الكائن الواحد البسيط يفيض المتعدد المتكثر ؟ ولكن هذه الصعوبة اقل وطأة ـ لاشك ـ من تلك التي تعترض القول بالخلق من عدم . وهي تزول فعلا اذا قلنا ان من الواحد القديم البسيط لا يفيض ، منذ القدم،

الا كائن بسيط ، وهو العقل . ولما كان هذا العقل صادرا عن الاول ، فهو حادث ، اي تابع له ... فهو حادث بالتبعية . ولكن هذا لا يعني انه مخلوق في الزمان ، بل بالعكس ، انه تابع للاول منذ الازل ، فاذن هو قديم في الزمان ، طالما الاول كامل ومن طبيعته ان يحدث عنه هذا العقل ، الذي يسميه الفارابي العقل الثاني او الثاني فقط . » أرايتما ؟

ليلى : نعم

الاستاذ : « ان هذا الحل يرضي ، في ذات الوقت، الوحي ، الذي يتحدث عن الخلق ، وهنا يصبح معنى الخلق « تبعية » المخلوق للخالق ، والفيض يعطي معنى التبعية هذه . كما وان هذا الحل يرضي ايضا العقل الذي يجد صعوبة في قبول القول القائل بالخلق من العدم وفي الزمان . »

ليلى : هذه اذا فلسفة الفيض ؟

الاستاذ : هذا جانبها الابرز ... وهناك جوانب اخرى تتناول نظام الكون والحقائق الازلية والوحي ، بالاضافة الى جانبها التطبيقي الذي يهدف الى تكوين مجتمع بشري على اسس من العدالة والفضيلة

ليلى : آفاق رحبة

نزار : فعلا

الاستاذ : كيف لا ، فالرجل كان علم زمانه الخفاق

ـ ٤ ـ

« الصوت الراوية ـ الاب ـ ليلى »

ليلى : ... وهكذا يا ابتي افاض الاستاذ وتوسع في الحديث عن الفارابي وفلسفته

الاب : ومن لا يتوسع في الحديث عن المعلم الثاني ، هذا الرجل الذي لم يترك مجالا من مجالات المعرفة الا وكان فيه البارز المجلي ... اقول ياليلى

ليلى : نعم يا ابتي

الاب : ترى هل حدثكما الاستاذ عن تفسير الفيض لنظام الكون

ليلى : اظن انه اشار اليه اشارة عابرة

الاب : لا ... فالموضوع اكبر من اشارة عابرة انصتي اسمعك تتمة المحاضرة التي سجلتها عنه وسبق لنا وان استمعنا سوية الى مقدماتها

ليلى : نعم يا ابتي ، كلي شوق للسماع

الصوت :

« تقول الفلسفة الفيضية ان من الكائن الاول يفيض كائن ثان ، هو ايضا جوهر غير متجسم اصلا ، وعقل خالص . وهذا الثاني يعقل الاول ويعقل ذاته . ومن تعقله للاول (ككائن واجب بذاته) يفيض عنه عقل ثالث ، ومن تعقله لذاته (كتابع في وجوده للاول) يلزم عنه وجود السماء الاولى. والثالث ايضا وجوده لا في مادة ، وهو بجوهره عقل ، وهو يعقل الاول (كائن واجب الوجود بذاته) فيلزم عنه عقل رابع ، ويعقل ذاته (كتابع في وجوده لغيره) فيلزم عنه كرة الكواكب الثابتة . وهذا الرابع يعقل الاول (ككائن واجب الوجود بذاته) فيلزم عنه الخامس ، ويعقل ذاته (كتابع لغيره في وجوده) فيلزم عنه كرة زحل . وهكذا حتى العقل الحادي عشر ، مع التدرج بكرة المشتري ، فالمريخ ، فالشمس ، فالزهرة ، فعطارد، فالقمر حيث ينتهي عالم العقول المفارقة التي هي في جوهرها عقول ومعقولات . وعند كرة القمر ينتهي وجود الاجسام السماوية، وهي بطبيعتها تتحرك دورا . وعنصر عالم الافلاك هذا هو العنصر الخامس الذي لا يشوبه كون ولا فساد ، اذ لا ضد له . »

الاب : ها ما رايك ؟

ليلى : موضوع في غاية العسر والتعقيد

الاب : الحق معك . دعيني اساعدك

ليلى : بكل سرور يا ابتي

الاب : « حسب نظرية الفيض هذه تعلل حركات الافلاك السبع المتحركة ،

وذلك بواسطة العقول التي لا تنفك عن تأمل الكائن الاول . ولما كانت الحركة الدائرية هي أكمل الحركات ، اذ انها الوحيدة التي تحاكي أزليـــة الكائن الاول . فان هذه الحركة هي التـــي اختصت بها الافلاك منذ الأزل والتي ليس لها نهاية . »

ليلى : ها ... ها ...

الاب : ارايت كيف فسرت حركات الافلاك قبل أن يصل العلم الى نظرية الجاذبية التي حررت العقول من كل الاعتبارات الميتافيزيقية التي كانت تهيمن على علم الفلك . ولذلك كانوا يقولون ان كل ما هو سماوي الهي ، والسماوي ينتهي ، في عرفهم ، عند فلك القمـــر ، وكان يشمل كل ما هو فوق هذا الفلك . »

ليلى : فلسفته تتشعب ونظراته تتسع

الاب : نعم ، هو كذلك فعـــلا ... واود ان تعلمي ــ تتمة للموضوع الذي طرقناه ــ انه يرى ...

الصوت :

« ان من فلك القمر يفيض عالم العناصر (الاسقاطات) ، وهو عالم الكـــون والفساد الذي يديره العقل الحادي عشر الذي يسميه الفارابي « العقل الفعال » . هذا العقل يهب عـــالم العناصر مختلف الصور التي تظهـــر فيه من جماد ونبات وحيوان وانسان. لذلك اطلق على هذا العقل اسم « واهب الصور » . هو رب هذا العالم ، منه تصدر الانفس البشرية التي تصـــور الاجسام . وهذه الانفس تكتســـب خلودها بقدر ما تدرك من الحقـــائق الموجودة في « العقل الفعال » . امـــا الكائن الاول ، فانه بعيد كل البعد عن ان يدرك بواسطة العقول البشـــرية ؛ لذلك لا نستطيع وصفه ولا تحديده . ولكن العقل الفعال لاينفك يتأمل هذا الكائن الاول . وسعادة الانفس البشرية تكون في هذا العقل الفعال الذي هو مصدرها. أما الانفس التي لم تدرك الحقائق الازلية التي يحملها العقل الفعال فمصيرهـــا مصير الحيوانات والنباتات ، اعنـــي الزوال . ولماذا تخلد ؟ هل هي تخـلد لتتأمل حقائق لم تدركها أبدا ولـــم تسعَ الى ادراكها ؟ ان الخلود يكتسب بواسطة ادراك النفس للحقيقـــة ، وحينئذ لم تعد النفس في حاجـة الى جسمها في خلودها ، اذ أن الجسم من عالم العناصر ، فيبقى فيه ، والخلود يكون في عالم العقول المفارقة . فـــلا بعث للاجساد »

الاب : الاحظتِ ؟

ليلى : نعم ، ولكن ماذا يقصد الفارابي بالحقائق الازلية ؟

الاب : هي « المثل الافلاطونية » التي جمعهـا الفارابي وادمجها في العقل الفعـال . والمجهود الذي تبذله النفس البشرية لكي تدرك ، منذ الحياة الدنيا ، هـذه الحقائق الازلية ، يجعلها تســـتحق الخلود حيث تنعم بتأمل هذه الحقائق في العقل الفعال

ليلى : ولكن ، الا ترى يا ابتى ان الرجل انتهى الى تصوف عقلي

الاب : هذا صحيح ولكنه تصوف قوامـــه التأمل

ليلى : نعم ... اردت ان اقول ، هل وجدت هذه الفلسفة من يتبناها من بعـــده

الاب : بطبيعة الحال ... فهو لم يقل عبثـا ولا جاء بفكر مردود ، وبالمناسبة فان ابن سينا ، الشيخ الرئيس الذي ملك اعجابك ، يتفق معه في القول بعـــدم بعث الاجساد . ولكنه يلطف من حدة قوله بخلود الانفس العالمة فقط

ليلى : كيف ؟

الاب : « لقد اعتبر ابن سينا النفس البشرية خالدة بطبيعتها ، لانها جوهر روحاني بسيط ، اذ انها تستطيع ان تـــدرك الماهيات ، والماهيـــات بســـيطة ، والبسيط لا ينحل اذ لا أجزاء فيـــه ، اللهم الا اذا أعدم فيزول .

اما فيما يتعلق بسعادة الانفس العالمة ، فان ابن سينا متفق مع الفارابي عـلى القول بأن هذه السعادة تكون بتأمـل

الحقائق الازلية في العقل الفعال ، وشقاء الانفس الجاهلة يكون بشعورها بانها بعيدة عن هذه الحقائق وعن مصدرها »

ليلى : احسب ان لا فرق بين تصوف الرجلين

الاب : لا فرق جوهري فعلا

الصوت :

« وفلسفة الفيض تفسر ايضا « الوحي » . يقول الفارابي ان العقل الفعال يشرق دائما وباستمرار الحقائق على العالم ، ولكن الانفس ذات المخيلة الصافية : النقية ، تتلقى هذه الحقائق ، وتعبر عنها بلغة بشرية تجعلها في متناول حواس الاخرين ومخيلتهم ، حيث يوجد صدى ضئيل لهذه الحقائق . اما الحقائق في ذاتها فانها تفوق هذا النطاق المادي المحسوس . اعني اللغة التي استخدمت للتعبير عنها . ويستطيع الفيلسوف وحده ، بفضل المنطق والتأمل العقلي ، ان يرتقي حتى مصدر هذه الحقائق ، اعني العقل الفعال ، ويدركها جلية واضحة ، وبمعنى آخر يستطيع الفيلسوف ان يفهم الصور العقلية القائمة في العقل الفعال »

الاب : اظن ان لا اشكال في فهم ما ورد

ليلى : لا .

الاب : اما عن جانب فلسفة الفارابي التطبيقية فذلك موضوع آخر

ليلى : لقد ذكر لنا الاستاذ انها تهدف الى تكوين مجتمع بشري على اسس من العدالة والفضيلة .

الاب : هذا صحيح ، وهو يرى انه « لما كان النبي او الفيلسوف يدركان هذه الحقائق ، فيحق لهما فقط ان يؤسسا المدينة الفاضلة التي تقوم على دعائم موحى بها من عل »

ليلى : ولكن يا ابتي ...

الاب : نعم ؟

ليلى : اردت ان اقول ان هذه مغالاة ومثالية قد لا يقبلها منطق العصر

الاب : ما في ذلك شك ، لكن الموقف هنا يختلف

ليلى : كيف ؟

الاب : اننا نستعرض فلسفة قديمة ، ومن تحصيل الحاصل ان نجد فيها ما لا يتفق مع معطيات العصر الحاضر وطبيعته .

ليلى : نعم ، هذا صحيح . ترى وما الامر بالنسبة لكتابه ، المدينة الفاضلة ، اذا ؟

الاب : كتابة هذا يحمل عنوان « آراء اهل المدينة الفاضلة » وهو في قسمين ، افرد القسم الاول للفلسفة ، وجعل الثاني لشؤون السياسة والمجتمع ، وفيه يفصل آراءه في تلك وهذه

ليلى : قدر ما يتعلق الامر بفلسفة الرجل فقد اتعبتك في تلخيصها لي ، ولكن لي رجاء اخير

الاب : على الرحب والسعة ، تفضلي

ليلى : اقول ، هل من خلاصة اسمعها عن موقفه من المجتمع

الاب : الفارابي يرى ...

الصوت :

« ان كل واحد من الناس مفطور على انه محتاج ، في قوامه ، وفي ان يبلغ افضل كمالاته ، الى اشياء كثيرة لايمكن ان يقوم بها وحده ، بل يحتاج الى قوم يقوم كل واحد منهم بشيء ممايحتاج اليه. وكل واحد من كل واحد بهذه الحال . فلذلك لا يمكن ان يكون الانسان ينال الكمال ، الذي لاجله جعلت الفطرة الطبيعية ، الا باجتماع جماعة كثيرة متعاونين ، يقوم كل واحد منهم لكل واحد ببعض ما يحتاج اليه في قوامه ، فيجتمع ، مما يقوم به جملة الجماعة لكل واحد منهم جميع ما يحتاج اليه في قوامه وفي ان يبلغ الكمال . ولهذا كثرت اشخاص الانسان ، فحصلت في المعمورة من الارض ، فحدثت منها الاجتماعات الانسانية .

فمنها الكاملة ، ومنها غير الكاملة . والكاملة ثلاث : عظمى ووسطى وصغرى . فالعظمى اجتماعات الجماعة كلها في المعمورة ، والوسطى ، اجتماع امة في جزء من المعمورة ، والصغرى ، اجتماع اهل مدينة في جزء من مسكن امة .

وغير الكاملة : اجتماع اهل القرية ، واجتماع اهل المحلة ، ثم اجتماع في سكة ، ثم اجتماع في منزل . واصغرها المنزل . والمحلة والقرية هما جميعا لاهل المدينة ، الا ان القرية للمدينة على انها خادمة للمدينة ، والمحلة للمدينة على انها جزؤها ، والسكة جزء المحلة ، والمنزل جزء السكة ، والمدينة جزء مسكن امة ، والامة جزء جملة اهل المعمورة .

فالخير الافضل والكمال الاقصى انما ينال اولا بالمدينة ، لا بالاجتماع الذي هو انقص منها . ولما كان شان الخير في الحقيقة ان يكون ينال بالاختيار والارادة ، وكذلك الشرور انما تكون بالارادة والاختيار ، امكن ان تجعل المدينة للتعاون على بلوغ بعض الغايات التي هي شرور ، فلذلك كل مدينة يمكن ان ينال بها السعادة . فالمدينة التي يقصد بالاجتماع فيها التعاون على الاشياء التي تنال بها السعادة في الحقيقة ، هي المدينة الفاضلة . والاجتماع الذي به يتعاون على نيل السعادة هو الاجتماع الفاضل . والامة التي تتعاون مدنها كلها على ما تنال به السعادة هي الامة الفاضلة . وكذلك المعمورة الفاضلة ، انما تكون اذا كانت الامم التي تتعاون على بلوغ السعادة ... »

ليلى : « معقبة » يا له من رجل

الاب : واحد من الاعلام ، الافذاذ ، الخالدين ، فلقد خط اسمه على صفحات التاريخ بحروف لا تطمسها الدهور

ليلى : عليه رحمة الله

الاب : ان كان قد مات حقا ، فما مات منه غير الجسد الفاني ، أما فكره وفلسفته وآثاره فخالدة لا تموت

ليلى : اذا ، على رفاته الرحمة .